وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تكريت / كلية التربية للعوم الإنسانية

قسم اللغة العربية / المرحلة الدكتوراه / الأدب

المادة/ مناهج نقدية قديمة

(المنهج الفني في النقد العربي القديم)

مدرس المادة/ أ.د مريم محمد جاسم

١٤٤٧هـ ٢٠٢٦م

مدخل:

في العمل الفني أشياء أخرى إلى جانب البيئة التي نمى فيها، هي فردية الفنان ومشاعره وموروثه الفيسيلوجي والثقافي والمعرفي، والتجارب الجمالية للفنان ليست بمعزل عن سائر التجارب الإنسانية، فضلاً عن أنَّه ليس مجرد معرفة أو تعميم للواقع إنما هو تعبير مكثف ومؤثر عن التجارب العاطفية والإنسانية، إنَّه نشاط عاطفي حي مبني على التأمل الحسي للموضوع، إلى جانب كونه حالة شعورية يتقاسمها الفنان مع جملة من الناس تخصه دون سواه، وتفضي أحياناً إلى تصور ما لواقع معين له مفاهيمه وصوره ولغته الخاصة، لغة يُكونُّها النقد والكتابة التحليلية والنظرية التي قد تفضي بدورها إلى اتجاه فني يعكس نمط حياة بكل مكوناتها.

وعليه فالعمل الفني متورط في أزمات الحياة وتقلباتها وهو عمل مدمج في النسيج اليومي وفاعل فيه، وهو عمل يتجاوز مفاهيم سطحية كثيرة، فكل منتج تتحكم فيه عدد من ألأمور المتشابكة في حياته من غير القدرة على الانفكاك منها.

ومهمة الناقد هي (تصحيح الذوق)، وهذا القول يطرح عدداً من الأسئلة المبنية على المقارنة والتحليل على أساس إبداعي وليس إتباعي، وتكمن في معظم الأحوال في ماهية العمل الفني أولاً من حيث علاقته بحياة الفنان وماذا يؤدي هذا العمل لصاحبه وماذا يؤدي للمتلقي.

أولاً: ماهيَّة المنهج الفني:

هو اتجاه نقدي يقوم على تحليل العناصر الجمالية في النص الأدبي، مثل الألفاظ والمعاني والصور البلاغية والإيقاع والوزن والتناسب والانسجام والبناء الفني العام، وهو مواجهة الأثر الأدبي بالقواعد والأصول الفنية، ويعتمد هذا المنهج على التأثر الذاتي للباحث كما يعتمد على عناصر موضوعية وعلى أصول فنية لها حظ من الاستقرار، فهو منهج ذاتي موضوعي وهو أقرب المناهج إلى طبيعة الأدب وطبيعة الفنون على وجه العموم.

ثانياً: ركائز المنهج الفني:

المنهج الفني يقوم على ركيزتين متكاملتين في آنٍ واحد هما: الذاتية والموضوعية.

فأما الذاتية: فتمثل المنحى الجمالي الذي تولده عملية القراءة، وتتمثل في ذلك الجانب الذي يُعرف بالنقد التأثري، ولكنها لا تعني الاستسلام للأهواء والميول الشخصية لأن النقد التأثري كما يقول لانسون: مشروع لا غبار عليه، ما ظل في حدود مدلوله، فالرجل الذي

يصف ما يشعر به عندما يقرأ كتاباً مكتفياً بتقرير الأثر الذي تخلفه تلك القراءة في نفسه، يقدم بلا ريب للتاريخ الأدبي وثيقة قيمة نحن في حاجة ماسة إلى أمثالها مهما كثرت.

والتأثر الذاتي ليس ضرورياً فقط للمنهج الفني وإنما هو واقع لا سبيل لإنكاره أو التخلص منه، فكان لا بد من الحرص المستمر على التمييز بين التأثر الذاتي وبين الوسائل الموضوعية في المعرفة.

وأما الركيزة الثانية للمنهج الفني وهي: الموضوعية، فتتمثل في تلك القواعد والأصول الفنية المستقلة عن ذواتنا، وهي لا تتمتع بالاستقلالية فقط، وإنما تتمتع بقدر كبير من الثبات والاستقرار كذلك، ليس معنى ذلك أنها جامدة أو متحجرة ن بل هي مرنة ومتطورة ومتنوعة، فهي متنوعة بتنوع الفنون الأدبية ومتطورة بتطور التيارات والمذاهب الفكرية، فقواعد الجمال في فنون النثر تختلف عنها في فنون الشعر، وقواعد القصة تختلف عن قواعد الرواية وتختلف المسرحية عن الاثنين.

ثالثاً: نشأة المنهج الفني في النقد العربي القديم.

كان المنهج الفني في النقد العربي القديم ينظر إلى الشعر والأدب من حيث صناعتهما الفنية أي من جهة الصياغة، والأسلوب، والتصوير، والإيقاع، والبلاغة، وجودة السبك، بعيدًا عن الاعتبارات الأخلاقية أو القبلية أو الاجتماعية وحدها، وهو منهج يهتم بـ (كيف قيل) أكثر من اهتمامه بـ (ماذا قيل).

وقد ظهر هذا المنهج تدريجيًا منذ القرن الثالث الهجري، وبلغ نضجه عند عدد من النقاد الكبار، حيث كانت البدايات الأولى في العصر الجاهلي وصدر الإسلام، فكانت أحكاماً نقدية ذوقية عامة، مثل قولهم: (أشعر الناس امرؤ القيس)، أو (زهير أحكم الشعراء)، لكن هذه الأحكام لم تكن معلَّلة تعليلًا فنيًا دقيقًا.

أما المرحلة المنهجية: فقد بدأ هذا المنهج يتبلور عند ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) في كتابه (الشعر والشعراء)، حيث وضع معايير فنية مثل: جودة اللفظ، وشرف المعنى، والإصابة في الوصف، والسبك المحكم، فقال: (للشعر صناعة يعرف أهل العلم بها كسائر أصناف العلم والصناعات). وهذا النص يدل على وعي مبكر بأن الشعر (صناعة) تخضع لمعايير فنية.

أما قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) في كتابه (نقد الشعر) وضع تعريفًا فنيًا للشعر في كونه: (قول موزون مقفّى يدل على معنى)، ثم جعل عناصر الجودة أربعة اللفظ، والمعنى، الوزن، القافية، وهو أول من حاول بناء نقد فني قائم على تحليل عناصر العمل الأدبي.

وأما عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) وهو الذروة في المنهج الفني، خاصة في كتابيه: (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة)، فقد أسس نظرية النظم التي تقوم على أنَّ جمال الكلام في طريقة تركيب الألفاظ وفق المعاني، لا في الألفاظ منفردة، فقال: (ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو)، وهذا تأسيس دقيق لتحليل العلاقات التركيبية داخل النص.

رابعاً: أسس المنهج الفني ويمكن تلخيصها في المحاور الآتية:

١) العناية بالألفاظ من حيث الفصاحة، والجزالة، والملاءمة للمعنى، مثاله قول امرؤ القيس: **قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزلِ...** فلفظة (قفا) تعطي حركة درامية وتؤسس لجو الحنين.

٢) العناية بالمعاني إذْ يفرق النقاد بين المعاني المبتكرة والمعاني المألوفة، وكانوا يعيبون السرقة والتكرار، ومن الأمثلة على ابتكار الصورة قول المتنبي:

وأقبل يمشي في البساط فما درى إلى البحر يسعى أم إلى البدر يرتقي

فالصورة هنا قائمة على المبالغة الفنية الراقية.

٣) الصورة البلاغية، اهتم النقاد بالتشبيه والاستعارة والكناية، مثال ذلك قول البحتري في وصف إيوان كسرى:

كأنّما سُوِّرَتْ بالدرِّ حافَتُهُ لما تتابع فيه الضوءُ والظُلَمُ

فالتشبيه هنا يضفي بريقًا بصريًا، فضلاً عن التوازن بين الضوء والظلمة يخلق حركة تصويرية.

٤) الإيقاع والوزن، كانوا يرون أنَّ الوزن عنصر أساسي في التأثير الفني، ومثاله بيت أبو تمام: السيف أصدق أنباءً من الكتبِ... فبحر البسيط هنا أعطي قوة وانسيابًا يتلاءم مع المعنى الحماسي.

٥) التناسب والانسجام (الوحدة الفنية) وقد بلغت ذروتها عند عبد القاهر في نظرية النظم، إذ رأى أنَّ الجمال في العلاقات بين الكلمات، ومثال ذلك قول المتنبي: على قدر أهل العزم تأتي العزائمُ... فالتوازن التركيبي يولد موسيقى داخلية ومعنى فلسفيًا متكاملًا.

خامسًا: خصائص المنهج الفني:

- التركيز على النص ذاته.
- التحليل التفصيلي للعناصر البلاغية.
- الاهتمام بالبنية.
- تقويم الجودة الجمالية.
- النزعة الموضوعية نسبيًا.

سادساً: أهمية المنهج الفني.

- أسس علم البلاغة.
- مهد للنقد البنيوي الحديث.
- كشف عن عمق التراث النقدي العربي.
- أثبت أن النقد العربي لم يكن ذوقيًا فقط بل علميًا.

خاتمة:

نخلصُ إلى أنَّ المنهج الفني في النقد العربي القديم كان منهجاً مهماً من المناهج التي قامت على تحليل العمل الأدبي بوصفه بناءً جمالياً متكاملاً، يدرس: اللفظ، والمعنى، والصورة، والإيقاع، والتركيب، وقد تطور من أحكام ذوقية عامة إلى تنظير علمي دقيق بلغ ذروته عند عبد القاهر الجرجاني.

وقد بلغ النقد القديم في غايته سواء من جهة شموله وسعته أم من جهة عمقه أم من جهة براءته من الحدود الفلسفية إلى درجة واضحة، ونضجت ملكة الذوق عند النقاد القدماء لكثرة ما درسوا، وكان نقدهم يتميز بالعمق وسعة الآفاق وتحليل الظواهر الأدبية وإرجاعها إلى أصولها الصحيحة، وبذلك كسب النقد مؤلفات رائعة وعديدة في هذا المجال منها:

- الموازنة بين الطائيين – للآمدي.
- أخبار أبي تمام – للصولي.
- عيار الشعر – البن طباطبا.
- الوساطة بين المتنبي وخصومه – القاضي الجرجاني.
- كتاب الصناعتين : لأبي هلال العسكري.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده - البن رشيق القيرواني.
- المثل السائر في آداب الكاتب والشاعر - لأبن الأثير.